

## ملخص محاضرة

"دعوة إلى كلمة سواء بين المذاهب الإسلامية"

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي الصباغ

التي ألقاها بمنتدى الفكر الإسلامي

التابع لمجمع الفقه الإسلامي الدولي

فما أحوجنا في هذه الأيام بخاصة إلى إعلاء كلمة التقريب والوحدة بين المسلمين كافة، ودعوتهم إلى كلمة سواء من الحق والعدل والإنصاف، للتعاون والتناصر والتضامن لمواجهة التحديات المختلفة التي تواجههم اليوم بحدة وشراسة، شديتين، بحيث تضعهم أمام اختيارات صعبة ومصيرية تقترب من المعضلة الوجودية الحاسمة وهي :

أن نكون أو أن لا نكون. إن هذه التحديات تواجهنا على مستوى وجودنا كمسلمين، وليس على مستوى كيفية وجودنا وشكله، وهي لا تواجهنا أجزاء وتفاريق، أي لا تواجه طائفة منا دون طائفة، وشعباً منا دون شعب، ومذهباً منا دون مذهب، ولكنها تواجهنا كلنا باعتبارنا مسلمين، وباعتبارنا أمة الإسلام وأتباع دين محدد، وهو دين الإسلام، لا يتورع أعداؤنا عن إيجاد أو تعميق أو تضخيم واستغلال كل أنواع الاختلاف وألوان الافتراق الموجودة بين

أبناء الأمة الواحدة وعناصرها المكونة لها ، لخلق عصبية جاهلية انطلاقاً منها؛ يغذيها الجهل والعصبية والأنانية وسوء الفهم أو سوء القصد أو سوء التقدير إن لم نقل الحقد والكراهية الممزوجين بالمصالح والمطامع والمطامح المشروعة وغير المشروعة ، ونحن لا ننكر وجود الاختلاف بين الناس كأمر وجودي إنساني واقعي ، سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الشعوب والقبائل والأقوام ، فالاختلاف سنة كونية وأمر قدرى وآية من آيات الله في الموجودات والكائنات ، وجدت في الأمة الإسلامية الآراء والاجتهادات والمواقف في وقت مبكر من حياة هذه الأمة ، وكانت هذه الآراء والاجتهادات والمواقف ناشئة عن محاولة فهم النصوص واستنباط الأحكام منها ، ومع الزمن تكونت اتجاهات وتيارات داخل المجتمع الإسلامي سميت بأسماء مختلفة ، سمي بعضها بالمذاهب وسمي بعضها الآخر بأهل الرأي وأهل الحديث وسمي بعضها بأهل الأهواء والبدع ، وسمي بعضها بأصحاب المقالات والفرق ، ويسمونها بعض الباحثين اليوم بالمدارس الفقهية والمدارس الأصولية والمدارس العقدية أو المذاهب التوحيدية والكلامية ، والمدارس التربوية والروحية ، وهكذا نجد أنفسنا في رحاب هذه الأمة أمام واقع يتميز بالتعددية والاختلاف في الرأي والحكم سواء في أحكام الفقه العملية أو في أحكام الحكم السياسية أو في بعض الأحكام العقدية والمسائل الأصولية فأهل الإسلام هم أهل الملة ، وهم أمة الإسلام ، وهم المسلمون ، وهم أهل التوحيد ، وهم أهل الشرع والشريعة ، وهم أهل الشهادتين : هم أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهم أهل القبلة . وأهل القبلة هم

المسلمون المؤمنون الذين يعترفون بما جاء به النبي ﷺ والذين يصدقون بكل ما قاله وأخبر عنه، ليس كل اختلاف مقبولاً ومشروعاً، وفي نفس الوقت نقول : ليس كل اختلاف أو خلاف كفراً وخروجاً عن الملة والأمة، فقد يكون الاختلاف مذموماً ولكنه غير مكفر، وقد يكون ضلالة ولكنه لا يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، وليست كل بدعة كفراً وخروجاً من الملة، حتى ولو كانت بدعة فاحشة : فالبدعة في الأصل نوعان، بدعة صغيرة وبدعة فاحشة، فالبدعة الصغيرة كبدع العادات والمعاملات والبدع الفاحشة هي بدع العقائد والعبادات، والبدع الفاحشة نفسها صنفان : بدع فاحشة مكفرة وبدع فاحشة غير مكفرة، فالبدع الفاحشة المكفرة هي تلك البدع التي تناقض أصول الدين وأركان الإسلام والإيمان وما علم من الدين بالضرورة، والحق أن كل من ثبت له عقد الإسلام فإنه لا يزول عنه إلا بنفي أو إجماع، وأما بالدعوى والافتراء، فلا، فوجب أن لا يكفر أحد بقول قاله إلا بأن يخالف ما قد صح عنده أن الله تعالى قاله، أو أن رسول الله ﷺ قاله، فيستجيز خلاف الله تعالى وخلاف رسوله ﷺ، سواء كان ذلك في عقد دين أو في نحلة أو في فتيا، وسواء كان ما صح من ذلك عن رسول الله ﷺ منقولاً نقل إجماع تواتراً أو نقل آحاد، إلا أن من خالف الإجماع المتيقن المقطوع على صحته فهو أظهر في قطع حجته ووجوب تكفيره، فالمذاهب المقصودة هنا هي تلك الطوائف والجماعات التي تنتسب إلى الإسلام بإعلان الشهادتين والتي تلتزم بمنهج أو بأحكام أو بعقائد

وسلوكيات طبقاً لفهمها وتفسيرها لنصوص الشريعة الإسلامية وأدلتها الإجمالية والتفصيلية.

من المذاهب الفقهية الحالية نستطيع أن نذكر ثمانية مذاهب موجودة حالياً ولها تراثها وأتباعها على كثرة أو قلة أتباع كل مذهب من هذه المذاهب وهي:

١- المذهب الإباضي .

٢- المذهب الزيدي .

٣- المذهب الجعفري .

٤- المذهب الحنفي .

٥- المذهب المالكي .

٦- المذهب الشافعي .

٧- المذهب الحنبلي .

٨- المذهب الظاهري .

ومن المذاهب السياسية العقائدية يمكن أن نذكر مذاهب : الشيعة الإمامية الاثني عشرية - الشيعة الإسماعيلية المستعلوية (البهرة) - والشيعة الإسماعيلية النزارية (الأغاخانية) - الزيدية - الإباضية - وأهل السنة والجماعة.

- ومن المذاهب والطرق الصوفية يمكن أن نذكر : الشاذلية بفروعها - والقادرية بفروعها - والنقشبندية بفروعها ، وغيرها من

الطرق الصوفية في مصر والسودان وشمالى إفريقيا واليمن والشام وتركيا والعراق وغيرها من البلاد الإسلامية .

- ومن المذاهب الأصولية : نذكر بعض المذاهب : كالظاهرية ، والجعفرية الأصولية ، والجعفرية الإخبارية ، وأهل الحديث ، وأهل الرأي ، وغيرها من مناهج علم الأصول ، كمنهج الفقهاء ، ومنهج المتكلمين ..

- ومن المذاهب التربوية والسلوكية : مذاهب تختلف في طريقة التربية وأساليبها وتتراوح بين الأخلاقيين العقليين أو الذوقيين أو الأثريين أو غيرها من اتجاهات المربين ومنازعهم.

إنها دعوة إلى كلمة سواء بين هذه المذاهب الإسلامية ، والكلمة السواء هي كلمة العدل والإنصاف ، وكلمة الحق الصريح المتفق عليه ، "والله تعالى يحب الإنصاف ، بل الإنصاف أفضل حلية تحلى بها الرجل ، خصوصاً من نصب نفسه حكماً بين الأقوال والمذاهب ، وقد قال الله تعالى لرسوله {وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ} .

نرى أن الكلمة السواء بين المذاهب الإسلامية تستقى من المصادر التالية :

١- القرآن الكريم ، كما هو بين دفتي المصحف الشريف ، وهو محل اتفاق بين جميع المذاهب الإسلامية والله الحمد .

٢- تفسير القرآن الكريم ، تفسيراً صحيحاً ، في ضوء أساليب اللغة العربية ومحكم آياته وما هو متفق عليه من

أسباب النزول وتفسير النبي ﷺ وتفسير أئمة آل البيت وأصحاب النبي ﷺ الثابتة عنهم.

٣- الأحاديث النبوية الثابتة ثبوتاً صحيحاً التي اتفق على صحتها أئمة المسلمين وعلماءهم وتلقته الأمة بجميع مذاهبها بالقبول.

ما أجمع عليه علماء الأمة الإسلامية على اختلاف مذاهبهم، بحيث أصبح معلوماً من دين الإسلام بالضرورة، والدعوة إلى كلمة سواء بين المسلمين وبين المذاهب الإسلامية ليست دعوة مبتدعة ولا مستحدثة، إنها دعوة قديمة ومستمرة ومتجددة، وهي واجب العلماء والدعاة وأولي أمر المسلمين، وهي دعوة تذكر جميع المذاهب الإسلامية بأن ما يجمعها وما تتفق عليه أكثر وأعمق وأوسع مما تختلف فيه، وأنه لا يجوز إغفال ونسيان عوامل الوحدة والتقارب والتعاون من أجل اختلافات هامشية أو ثانوية في الفروع والتفاصيل.

ونحن نرى أن الكلمة السواء بين المذاهب الإسلامية يمكن أن تتمثل في العقائد والمبادئ التالية :

١. الإيمان بالله تعالى.
٢. الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته.
٣. الإيمان بنبوة جميع الأنبياء والرسل، وبصحة نبوة نبينا محمد ﷺ وبأن شريعته مستمرة مؤبدة.

٤. الإيمان بأن القرآن الكريم منبع أحكام شريعته ﷺ ،  
وبأن سنته الصحيحة الثابتة عنه مبينة للقرآن الكريم  
ومفسرة له.

٥. الإيمان بأركان الإيمان المعروفة من دين الإسلام.

٦. الإيمان بالبعث والحساب والجزاء والجنة والنار.

٧. الإيمان بوجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة، وبوجوب  
الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت على الجملة.

٨. عدم تجويز الكذب على الأنبياء والرسل لمصلحة أو لغير  
مصلحة.

٩. عدم القول بأمور تخالف نصوص الشرع مخالفة صريحة  
مطلقة.

١٠. عدم إنكار أصل من أصول الشرعيات المعلومة من الدين  
بالتواتر القطعي عن رسول الله ﷺ.

١١. عدم إنكار ما علم ثبوته أو صحته بإجماع أمة الإسلام  
ومجتهداتها من جميع المذاهب.

١٢. عدم القول بإلهية أحد مع الله تعالى سواء كان بشراً أو  
غير بشر، وسواء كان نبياً أو إماماً أو ولياً.

١٣. عدم إسقاط أي من تكاليف الشريعة وفرائضها، وعدم  
القول بالتناسخ والحلول أو إسقاط محرّمات الشريعة  
القطعية.

١٤. عدم السجود بين يدي صنم من الأصنام مهما كان هذا الصنم وأياً كان من يمثله .

١٥. منع كل تطاول أو إساءة إلى آل رسول الله ﷺ ، وإلى صحابته جميعاً وإلى أمهات المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين.

١٦. تحريم دم المسلم من أي مذهب كان من المذاهب الإسلامية التي تلتزم بالعقائد والمبادئ السابقة، وتحريم ماله وعرضه.

١٧. الجدل بالتي هي أحسن بين علماء المذاهب الإسلامية المختلفة دون تكفير أو تضليل أو إيذاء.

١٨. تأكيد القواسم المشتركة والعقائد المتفق عليها وتوثيق الاتفاق عليها وإعلانها، وتوسيعها، ومحاولة حل ما هو مختلف فيه في ضوء ما هو متفق عليه.

١٩. احترام رموز كل مذهب من المذاهب الإسلامية والبعد عن التجريح والغمز واللمز والسب واللعن وغير ذلك.

٢٠. الامتناع عن القيام بأي عمل أو نشاط استفزازي، كالتبشير بمذهب معين في بيئة يغلب على أهلها مذهب آخر مخالف.